جذور الشجرة طويلة وقريبة من سطح الارض يُنبش عنها وتُخدَش بمجرفةٍ او مرّ في مواضع منها وتترك مكشوفةً للهوآء فلا يلبث ان ينشأ على كل خدش غدّةٌ يتكوّن عنها برعم يكون اصلاً لساقٍ جديدة فتُفصَل هذه الجذور من الامّ من فوق النقطة التي نشأت فيها الغدّة وتُغرَس وحدها

ولاهل الصين طريقةٌ اخرى في الفصال يبسطون الفروع السفلى عند اقبال الربيع في حفرة منبسطة ويمسكونها بأَشِظّة (جمع شِظاظ وهو عودٌ ذو شعبتين) ويتركونها مكشوفة فاذا افرخت الشجرة خرج من كل برعمٍ غصن ينبت عمودياً فيغطون الفروع المنبسطة بطبقة من التراب ويسقونها تبعاً للحاجة فكل واحدٍ من الفروع الجديدة ينشأ لهُ عدة جذور في اواخر الصيف فاذا جآء الربيع التالي فصلوا تلك الفروع عن الام وغرسوها فيكون لهم اشجارٌ بعدد البراعم

آداب المجالس

بقلم حضرة الكاتب اللوذعي عزتلو قسطاكي بك الحمصي في حلب

طلب اليَّ بعض الاخوان ان اكتب شيئاً في هذا الموضوع وقد جرى حديثهُ في بعض ليالي السمر فدفعت طلبهم معتذراً بان ذلك او اكثرهُ مما لا يجهلهُ اليوم الا القليل من الناس فلم يقنعهم ذلك والحّوا عليَّ بكتابتهِ لانهُ لا يخلو من تبصرةٍ لغير العارف وذكرى للعارف . ولا يخفى ان هذا بحثٌ واسع يستغرق صفحاتٍ كثيرة فاقتصرت منهُ على ما حضرني من اشهر الاحوال واكثرها وقوعاً ومن سلم ذوقهُ ولطف طبعهُ تكفيهِ اللمحة الدالة ولم يعدم من نفسهِ ما ينبههُ الى سلوك الواجب وتحامي ما يدعو الى الانتقاد

على ان لكل زمانٍ بل لكل طبقــةٍ من ار باب الحضارة آداباً مخصوصة ولذلك فاني سأجعل كلامي فيما يناسب العصر الحاضر مما درج عليهِ اهل آفاقنا الشرقية على ان الكثير منهُ مقتبس عن العادات الغربية ولا عجب فانها اليوم مرجع اكثر الامم المتمدنة على وجه الارض

فمن مستملح العادات ان لا تزور منزلاً غريباً قبل الظهر فان ربّة المنزل لا تنتهي زينتها ولا يكمل تبرّجها الا قرب الظهر وهنّ يكرهن مقابلة الزائرين والزائرات قبل ذلك . فان اضطرّك شأنٌ الى مقابلة صاحب البيت فاعمد الى قلم ودواة واكتب اليــهِ مستأذناً في مواجهتهِ فهو يعين لك الساعة التي يتفرغ فيها لمخاطبتك . ومن آدابهم ان لا تمد يدك لمصافحة من لا تعرفهُ اذا جمعك واياهُ بيت قريبٍ او صديق حتى يستعرف اليك او ينسبك اليه صاحب البيت او سواهُ من اصحابك . واما النسآء فايّاك ان تمدّ يداً لمصافحة سيدة قبل ان تؤنس منها ارتياحاً الى ذلك والالم تأمن ان يصيبك معها مايرميك بالخجل . ومن آدابهم ان لا تدخل مخدعاً مغلقاً قبل ان تنقر باصابعك على بابه فيقال لك ادخل وان لا تجلس عند مواجهة من هو ارفع منك مقاماً حتى يؤذن لك في ذلك . وان تبادر الى تحية زائرك ومصافحته بوجهٍ طلق قال الشاعر * بشاشة وجه المرء خيرٌ من القرى * وان تُدني لهُ كرسيًّا بيدك تكلّفهُ الجلوس عليهِ او تشير الى مقعدٍ قريب كانك تأذن لهُ في الجلوس ان كان دون قدرك . ومن آدابهم ان لا تقطع حديث المتكلم وان تصغي الى مخاطبك تمام الاصغآء ولا تحوّل بصرك عمن يكلّمك وان لا تشتم او تلعن او تتلفظ بكلام قبيح فكل ذلك من نهاية قلّة الادب . ومن آدابهم ان لا تقول عند سماعك حكايةً يقصد بها راويها نكتةً او غايةً ما اني اعرفها او سمعتها او ما يشابه ذلك مما يُخجل الراوي فتُنسَب الى الخشونة او الفضول . وان كنت زائراً او مزوراً ولم تجد عُدّةً للحديث فاذخر لمثل تلك الحال حديثاً فكاهيًّا او حكاية مفيدة واجعل ذلك لك زاداً تستعين بهِ عند جمود الذهن وملل الفكر كان تحدّث السامعين بيوم من ايام الشباب او ساعة من ساعات السرور

قضيتها في مثل الفصل الذي انت فيهِ او غريبةٍ سمعتها او لطيفة قرأتها او حادثة تاريخية حفظتها مما يناسب المقام فلكل مقام مقال . وايّاك والتبجح بما عندك او التفاصح بحضرة من هو اعلم منك وافصح اذ انك لا تأمن العثار فيصيبك من اقتحامك هذا الميدان الخجل والافتضاح . ومن آدابهم ان تخفض صوتك عند المخاطبة فارتفاع الصوت عندهم في المساجلة والجدال دليل على الخشونة والبداوة ونقص الادب . ومن آدابهم ان لا تُسِرَّ حديثاً الى احد الحضور في المجلس لئلا يتوهم متوهمٌ ان حديثك يتعلق بهِ او بامريهمهُ او بحادثة جرت لهُ وهو يود كتمها . ومن آدابهم ان لا تنصب نفسك حكماً للترجيح بين قول وآخر في مجالس القوم ما لم يدعُك الى ذلك ربّ المنزل او المتخالفان . ومن آدابهم ان لا تحسب المجلس وقفاً على حديثك فاني رأيت الناس يبغضون المعجب بحديثهِ الطويل العبارات الكثير الاشارات الذي لا ينطق بكلمة حتى يجيل نظرهُ في الحضور كانهُ يتقاضاهم الاعجاب بكلامهِ والاعتراف بسموّ مداركهِ . ومن آدابهم ان لا تنمّ ولا تنقل حديث قوم الى آخرين الا اذا كانت فيهِ فائدة او كان طيّب المغبّة سليم العاقبة . ومن آدابهم التنقل في مواضيع الحديث خصوصاً اذا طال الجلوس فاياك والكلام في موضوع واحد فالانسان خلق ملولاً وقد رأيتُ بعضهم يستامون زمام الحديث فلا ينصرفون عن ذلك المجلس حتى تزهق النفوس من طول حديثهم وثقل الفاظهم وبرودة كلامهم كأن يشنّعوا على عدوٍّ لهم او يحدثوا القوم بتجارتهم او يتفاخروا بصناعتهم او فرط نباهتهم او يتكلموا في مسئلة علمية وليس كل من في المجلس ممن يهتم لذلك او يعنى بهِ او يحبّ استماع ذلك المقال فاياك وذاك فهو من اقبح العيوب . ومن آدابهم ان لا تتنقل من مكان الى مكان ومن كرسيّ الى آخر وان لا تغدو رائحاً جائياً في المجلس فهي من علامات الطيش ونقص التربية . ومن آدابهم ان لا تهين عدوًّا اذا جمعك واياهُ منزل قوم وان لا تستخفّ باحد في مجالسهم . ومن كمال الظرف عندهم ان تظهر غاية الاستحسان لما تريكهُ ربة المنزل من صنع يدها او صنع من في بيتها وان بدا

لك فيهِ نقص فأشر اليهِ بدقة في عُرض الحديث فانّ صدق النقد لا ينفي عامة الحسن مما هو حسن ولا سيما وان مثل ذلك لا يكون الا بين الاهل وذوي المودات فالصمت في مواقع الاستحسان من علامات الحسد والغيرة فاطلق لسانك في المدح لمن يستحقهُ ولا تخجل من ذلك

وارى ان اختم هذه المقالة بكلام لاحد مشاهير الفلاسفة من الفرنجة كتبهُ عن قوم عرفهم وعاشرهم وقد جمع فيهِ غاية الكمالات المطلوبة ومنتهى آداب المخالقة ورقة المعاشرة . قال ما محصلهُ

من رام ان يبتعد عن اناس عواطفهم ملق وثقتهم مكر وصحبتهم غشّ وذمتهم غدر ووداده حسد وعلمهم جهل واحبّ ان يرد ينابيع الفضائل والحقائق ويستروح نسيم الاخلاص والمودة الصادقة فليقصد مجامع قومٍ اسعدني الدهر بغشيانهم فلهجتهم سلسة بيّنة لاشيء فيها من التكلف والرطانة والثقل وحديثهم بهيج بغير جلبة ولا صياح تتوسم فيهِ العرفان بغير تشدّق واللطف بلا تصنع والظرف بلا تخنث والدعابة بغير خبثٍ ولا تورية وعلى الجملة فحديثهم لا يحاكي الخطب المدققة التي تلقى في حلقات المدارس ولا قصائد الهجآء والتنديد وهم يُقنِعون بعضهم بعضاً دون ان يحتاجوا الى شهود او براهين فيتمازحون بكلام غير مبطن ولا ملمع وقد جمعوا بين التعقل والصواب بفطنة هي غاية الغايات ومثل ذلك بين اعمالهم واميالهم فنقدهم نخاز مصيب واطراؤهم سديد وآدابهم قويمة . وهم يخوضون في احاديثهم في جميع الفنون كي يجد كل واحد منهم مادة يتكلم فيها ولا يتعمقون في المسائل مخافة الملال بل يبسطونها على سبيل العرض ويتساجلون فيها بسرعة . وما منهم من يدفع رأي الآخر بحدة ولا من يدافع عن رأيهِ بعناد ولكنهم يتحاورون للاستفادة والاستنارة ويقفون دون حدود الخصام فكلهم يستفيد وكلهم يتسلى وكلهم يتفرقون مسرورين والحكيم منهم يتزود من تلك الاحاديث مواضيع حرية بالاستبصار

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاحُ